(c) www.nidaulhind.com

من أعلام التاريخ الإسلامي في الهند

الداعية الجليل الشيخ كرامت علي الصديقي الجونفوري

(١٨٠٠م - ١٨٧٣م)

(الحلقة الأولى)

بقلم : الأستاذ فخر الدين وحيد *

التمهيد :

منطقة جونفور تمتلك تاريخاً علمياً وإسلامياً تضرب جذوره إلى الأعماق منذ أكثر من ستة قرون . فباتت مدينة العلم والمعرفة ، بداية من سنة تأسيسها في عام ٧٦٢هـ/١٣٦١م[١] ، ومروراً بعصر الدولة الشرقية والدول الإسلامية الهندية الأخرى إلى عصور متأخرة . وبمكانتها المرموقة في مجالات العلم والفكر وحقول الدعوة والإصلاح ، قد تأثر الإمبراطور المغولي شاه جهان إلى حد أنه قال مقولته المأثورة " جونفور شيراز الهند "[٢] ، فلاريب في أن منطقة جونفور لها دور ملحوظ في إثراء الدراسات العربية والإسلامية ، وقد أنجبت هذه المنطقة من الملوك رجالا يتفردون بحسن سياستهم وتنظيمهم للدولة من أمثال ملك الشرق خواجه جهان وإبراهيم شاه الشرقي وحسين شاه الشرقي . وكذلك علماء يندر نظيرهم في الذكاء وخصوبة الفكر والابتكار العلمي ، وفضلاء لا يضارعون في كثرة المؤلفات والإنتاج الجميل في ميادين العلم والأدب ، نحو القاضي شهاب الدين الدولت آبادي ، والقاضي نظام الدين الغيلاني ، وملا محمود الجونفوري ، والشيخ عبدالأول الجونفوري وغيرهم . أما الدعاة والمصلحون

---

* أستاذ ضيف في قسم اللغة العربية ، بجامعة خواجه معين الدين الجشتي الأردية والعربية والفارسية ، لكناؤ ، الهند .

[١] السيد اقبال الجونفوري : (تاريخ سلاطين شرقي اورصوفياء جونفور) ، ج١ ، ص٨٠ ، ط ، اداره شيرازهند ، عام ١٩٨٨م .

[٢] المولوي خيرالدين الإله آبادي : تذكرة العلماء ، ص ٥ ، ألطافي بريس ، كلكته . وأيضا : ثقافة الهند ، ج ٥٢ ، العدد ٣ ، ص ١٤٦ (الدكتور البروفيسور محمد أسلم الإصلاحي ، مساهمة علماء "جونبور" في الأدب العربي ، المجلس الهندي للثقافات الهندية ٢٠٠١م) .

(c) www.nidaulhind.com

فقد تكاثروا فيها كثرة ما زالت تعرف المدينة بخدماتهم وبصماتهم ، نحو محمد المهدي والشيخ كرامت علي وغيرهم . ولا يشك أحد أن هذه المدينة قد استقطبت نوابغ علم وأئمة فن وجهابذة درس وعباقرة فكر وأكابر دعوة ، لم يشتهروا بتفوقهم في العلم والفن في الهند فحسب ، بل ذاع صيتهم في خارجها أيضا إذ قام بعضهم شخصياً بأعمال لا تقوم بها مجامع علمية أو حركة دعوية في أكثر الأحيان ، أما الداعية الجليل الشيخ كرامت علي الصديقي الذي يدور هذا الحديث حوله ، فقد انبلج صبح حياته في محرم الحرام ١٢١٥هـ/يونيو ١٨٠٠م في أسرة دعوية وعلمية تتحدر سلسلتها من عترة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه .[١] كان مجبولاً على الدعوة والإصلاح ، فكان يحتل مكانة عالية جدا فيما يتعلق بالدعوة الإسلامية في الهند فراح فردا في حجم أمة .

نشأته وتعليمه وتزكيته :

إنه نشأ في عصر تسوده الفوضى والجهالة والبدعة ، وذلك لأن شركة الهند الشرقية قد أخذت زمام البلاد سياسة وتجارة ، علما وحضارة ، وبدأت الثقافات الأجنبية تتسرب إلى المجتمع الإسلامي ، وأصبح المسلمون كحبة بين شقتي الرحى ، فبسبب هذا التغير السياسي والحضاري خسر المسلمون خسارة فادحة ، وهذه الخسارة الدينية قد أثّرت على مدينة جونفور تأثيراً سلبياً حتى كانت لا يوجد فيها من يتمسك بالشريعة الغراء إلا نادراً حتى إن الزوايا الشهيرة اشتاقت إلى من يملأها حركة ونشاطاً ، ذكراً وابتهالاً ، دعوة وإصلاحاً ، وأقفرت المساجد الكبيرة من عمارها ، لا يوجد فيها داع ولا مجيب ، ولا تقام فيها الخمس، فجامع الشرق الذي بناه الملك إبراهيم شاه الشرقي(ت٨٤٤هـ) حُرم من الأذان والجمعة والجماعة ، وبدأت تستخدم للاحتفالات الدنيوية، والمناسبات القومية حتى لخدمة المواشي والأنعام .[٢] ومن هذا يبدو أن منطقة

---

[١] مولانا عبدالباطن الجونفوري : سيرت كرامت علي ، ص ٩ ، ط ، أسرار كريمي بريس اله آباد عام ١٣٦٨هـ .
وأيضاً : د . عبدالوحيد القاسمي : شيخ كرامت علي صديقي : حيات وخدمات ، ص ٥٢ ، النسخة القلمية في " مكتبة بزم رشيد " في كلية أسماء العربية بجونفور .

[٢] عبدالوحيد القاسمي : شيخ كرامت علي : حيات وخدمات ص ٥٩ .

(c) www.nidaulhind.com

جونفور بأجمعها كانت تتسكع في ظلام الجهل المطبق ، والأمية الفاشية، والبدع ، والتقاليد غير الدينية في ذلك العصر . وهذا العصر هو زمن ولادة الشيخ كرامت علي ، ولكن رغم هذه الصورة المروعة بقيت أسرة الشيخ عريقة في العلم والدين ، متحفظة بالتراث العلمي والشعار الديني ، متمسكة بالشريعة الإسلامية، فربّاه والده كأحسن ما يتمنّى الوالد أن يربّي مولوده حتى ترعرع متصفا بالخلال والشيم الدينية ، نفوراً من الملاهي والملذات ، عزوفاً عن اللهو واللعب ، ومواظباً على الصلوات الخمس .

تعلّم الشيخ الفارسية والأردية والكتابة ومبادئ العلوم الإسلامية من أبيه ، ثم تلمذ على الأستاذ قدرة الله الرودولوي للحصول على القسط الأوفى من العلوم الإسلامية ، وتلمذ على رحمة الله الأنامي في علوم الحديث ، وعلى أحمد علي التشرياكوتي للتضلع من المعقولات ، وعلى السيد إبراهيم المدني والشيخ عمر بن عبد الرسول الأكملي ، للمهارة التامة في فن القراءة ، وأخذ فن الكتابة من الخطّاط الشهير الحافظ عبد الغني ، وهذا الفن بقي موروثا في أسرته ، وتفوقه في هذا الفن يفهم بأنه كان يكتب سورة الإخلاص مع البسملة بالإضافة إلى اسمه على حبّة من رزّ أو حمّص[1] . ومضافا على ذلك قد هيأ الله تعالى للشيخ في فاتحة شبابه فرصة سعيدة أن يتعلم فن المصارعة ، واستخدام الهراوات ، وطعن الرماح ، وكذلك السباحة ، والرياضة البدنية الأخرى لهدف أسمى؛ وهي الحركة الدعوية التي قادها كما أوحت به الضرورة بإيمان وثبات ، وجرأة وبسالة .[2] وبعد التضلع على العلوم الإسلامية توجه إلى راي بريلي وتمسك بأهداب المصلح الكبير السيد أحمد الشهيد لتعاليم السلوك والمعرفة في سنة ١٢٣٤هـ ، وكان ابن ١٨ عاماً على وجه التقريب .[3] ذكره

---

[1] مولانا نورالدين الجونفوري : تجلي نور(تذكره مشاهيرجونفور)ص ١٣٦ ، أعظم المطابع جونفور .
وأيضا : تذكره مولانا كرامت علي لمولانا مجيب الله الندوي ، ط ، سيد أحمد شهيد اكيدمي ، دار عرفات ، تكيه كلان ، رائ بريلي ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦ م .

[2] مولانا عبدالباطن الجونفوري : سيرت كرامت علي ص ١٧ ، ط ، أسرار كريمي بريس ، إله آباد ،عام ١٣٦٨هـ .

[3] الأستاذ ابو الحسن علي الندوي : كاروان ايمان وعزيمت ، ص ،١١٢ ، ط ، مكتبه اسلام لكهنؤ سنة ١٩٨٤م .

(c) www.nidaulhind.com

الشيخ في كتابه " زاد التقوى " فقال : " قد علّمني المرشد الخبير أسرار الطريقة والسلوك ثمانية عشر يوماً في مسجد " بريلي " ثم حمد الله وأثنى عليه فقال " تم العمل ولك الخيار في المكوث حتى يومين أو ثلاثة لمزيد من الخبرة والمعرفة " .

أعماله الإصلاحية والدعوية :

والشيخ كرامت علي عند ما رجع من رأي بريلي استهل حياته الدعوية والإصلاحية من منطقة جونفور ، وكان داعية بالفطرة ، وعلاقته مع السيد أحمد الشهيد قد زادت همه وغمه للبشرية أضعافاً ، فما لبث أن تجوّل من بيت إلى بيت ، ومن حي إلى آخر ، ومن قرية إلى قرى ، لنفث روح الإيمان ، وبث الثقة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، ولقلع جذور البدع والخرافات والأباطيل من مهدها ، التي فشت في المجتمع آنذاك . وكان حلو الشمائل ، رائق الحديث ، وإذا تكلم تناثرت على فمه آيات القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية ، فلا تلبث دعوته إلا تلمس شغاف الأفئدة ، وما هي إلا أن ترى الناس شاخصة أبصارهم ، خاشعة أجسادهم كأنهم قد مسّهم سحر . وأثناء دعواته وجولاته لمس الشيخ حاجة كتاب يحتوي على أصول الدين ، فكتب كتاباً يتجلى فيه إخلاصه وشغفه الديني عام ١٨٢٠م/١٢٣٥هـ ، وسمّاه " مفتاح الجنّة " ، وقد نال هذا الكتاب انتشارا واسعا وتقبّله القرّاء بقبول حسن وخصّوه بحفاوة لم يظفر بها أيّ كتاب ظهر عن مبادئ الإسلام في تلك الأيام وتخطّفته الأيدي وتنافست في نشره المكتبات فتلت هذه الطبعة طبعات ، معنى ذلك أن الناس أخذوا الكتاب بعين الاعتبار ، وبفضل هذا الكتاب طار صيته بين الناس كمؤلف ومصلح للأمة .

تطهير جامع الشرق :

كان جامع الشرق - الذي تمّ بناؤه على يد الملك إبراهيم الشرقي لتخليد ذكرى المرحوم عيسى تاج – تحت سيطرة المبتدعين وهم يستعملونه لأغراض دنيوية ولمنافع عاجلة فرغب الشيخ في تحريره من استيلائهم لإقامة الصلوات والجمعة ؛ ولم يضمر له هولاء المبتدعون في نفوسهم حقداً دفيناً وبغضاً كميناً فحسب ، بل أفشوا عداء مبيناً ولكن

(c) www.nidaulhind.com

الشيخ لم يزل يقوم في وجوههم ، وكان جريئاً مقداماً ، لا يخاف الأخطار ولا يخشى المخاوف حتى حالفه التوفيق ، كان ينطلق في عماية الصبح إلى المسجد الجامع وهو يقع على بعد من بيته أكثر من كيلومتر واحد ، فبدأت من مساعيه الصلوات الخمس في جامع الشرق من جديد ؛ كذلك منطقة جونفور صحت من رقادها ، ونشطت من خمولها ، ودبّت فيها الحياة بفضل جهده الجهيد .

والدكتور عبد الوحيد يسعفنا في هذه المناسبة فيكتب : " هذه الأعمال والجولات الدعوية لكل من مناطق جونفور وأعظم كراه وسلطانفور وغازيفور وتأليف مفتاح الجنة وتطهير المسجد الجامع استغرقت أربعة أعوام حتى ١٢٣٩هـ[1] ، معنى ذلك أن الشيخ كرامت علي راح يجول في المناطق المتجاورة لجونفور لغرس الروح الإسلامي والحماسة الدينية في قلوب الشعب المسلم ، ومن الممكن جداً أنه كان يسعى في إيقاظ الحس الإسلامي من أجل مقاومة المستعمر الإنجليزي ودحره وبث الدعاية من أجل الاستقلال والدفاع عن الثقافة الإسلامية وإحياء الخلافة الإسلامية من جديد ، الأمر الذي ينادي به مرشده وشيخه السيد أحمد الشهيد رحمه الله .

الهجرة إلى بنغال ؛ أرض دعوته :

حضر قاصد من السيد أحمد الشهيد من "بنارس" ، وهو في طريقه إلى رأي بريلي آتياً من سفر الحج الميمون – برقعة الخلافة بالإضافة إلى أمر من السيد للذهاب إلى ولاية بنغال لغرض منشود مخفي . والشيخ كرامت علي كان رجلاً طيب القلب ، رقيق العاطفة وكثير العطف ، وكان معه العزم والقوة والشباب والفتوة فأسلم نفسه للمقادير وخرج فوراً إلى بنغال سنة ١٢٣٩هـ/١٨٢٤م ، وما جاوز إلا أربعة وعشرين عاماً من عمره وهذا هو أوّل زيارته إلى بنغال غير أن جيمس وائز قد ذكر أن الشيخ قد رافق السيد الشهيد إلى كلكتة في سفره إلى مكة لأداء الحج ، ولكن ما وجدنا أي سند له . وما هو الغرض المنشود لهذا السفر

---

[1] الدكتور عبدالوحيد القاسمي : شيخ كرامت علي صديقي حيات وخدمات (الأردية) ص ٥٩

(c) www.nidaulhind.com

في مثل هذه السرعة المذهلة ؟ علّه ذهب - كما يقول الدكتور عبدالوحيد القاسمي والأحوال الطارئة تؤيّده " لتوفير الرجال والنشطاء لحركة الجهاد التي يديرها ويشرفها شيخه السيد أحمد الشهيد أم أن له غرضاً آخر لم يبد بعد . وقد يدل على هذا ما كتب الدكتور اي آر رحمان مالك بأن الشيخ كرامت علي قد تجول في كل من مناطق تشنغانه ، نواكهالي ، دكا ، فريدفور وبريسل لتعبئة الرجال وتشهير أمر المجاهدين فهو يقول :

" Karamat Ali travelled through Chittangana, Noakhali, Decca, Faridpur and Barisal to recruit men and to propagate the cause of Jehadis " . [1]

أما هذه الزيارة فقد استغرقت سنة وستة أشهر على الأصح ثم ذهب إلى مكة لأداء الحج ، وجاب البلاد العربية ، وتمهّر في قراءة القرآن أثناء ذلك ، وما وجدنا أي رواية تدل على رجوعه إلى جونفور قبل الخروج لمكة المكرمة ، ثم أقام في كلكتة أياماً معدودات ، وطبع كتابه "مفتاح الجنة " لأول مرّة من كلكتة أثناء الرجوع من سفره الميمون ثم رجع إلى جونفور . وتزوّج الشيخ كرامت علي سنة ١٢٤٤هـ ، ومكث مع أهله بالقرب إلى سنتين وستة أشهر في بيت يرفرف عليه المحبة والسلام ، ولعل أكبر أولاده بنته أم كلثوم قد ولدت أثناء هذه المدة .

وفي سنة ١٢٤٤هـ خرج السيد الشهيد لحرب" بنجتار " وكان الشيخ مشغولاً آنذاك بأعماله التذكارية في منطقة جونفور ، ثم في سنة ١٢٤٦هـ/١٨٣١م عندما أراد السيد الشهيد لحرب هي أدهى وأمرّ في حياته وهي " معركة بالاكوت " فلاحقه الشيخ كرامت علي كما يروي لنا المؤرخ جعفر التهانيسري :

" اشترك الشيخ كرامت علي الجونفوري ، ولكن السيد أحمد الشهيد قد رد كوكبة من الدعاة من ساحة القتال ، ومن بينهم الشيخ كرامت علي الجونفوري لاستمرار الدعوة وإحياء الحركة [١] .

---

[1] *British Policy and Bengali Muslim By Dr . A .R. Malik page no 101 published in Decca in 1961*

(c) www.nidaulhind.com

تأسيس المدرسة القرآنية :

رجع الشيخ من معركة بالاكوت على رغم أنفه منقاداً لإيماء السيد الشهيد وطائعاً لأمره ، ولما بلغه خبر شهادة السيد أحمد الشهيد رحمه الله - حامل لواء الحركة - ومصير رفقائه في ميدان بالاكوت ، حزن لذلك وصُدم صدمة ، لا حياة فيه ولا روح ، وضاقت عليه الأرض بما رحبت ، ولكن استجمع قوته ومواهبه وأحسّ المسئولية التي ألقاها شيخه السيد أحمد الشهيد على كواهله ، فقام ولم يترك ساعةً في الكدح لصالح الأمّة ، واستأنف الجولات الدعوية في جونفور وما جاورها . والشيخ كرامت علي وإن كانت صلته بحركة السيد أحمد الجهادية متينة ، ولكنه لما علم عن مصير مرشده السيد أحمد الشهيد ، لم يفعل شيئاً يجعله عند الإنجليز مشتبهاً في أمره ، فكان يحصل على الإجازة منهم كلما يزور مناطق بنغال لكي لا تنقطع سلسلة حركته الدعوية الإصلاحية . فإنها كانت من أكبر الحركات الدعوية التي بدأت في القرن الثالث عشر الهجري .[٢]

وقد أسّس " المدرسة القرآنية " في جامع الشرق بالتعاون مع الشيخ سخاوت علي الجونفوري (أحد علماء جونفور ومعاصريه) ولم تمض إلا شهور حتى غادر الوطن للمرة الثانية ، وكانت المدرسة تحت إشراف الشيخ سخاوت علي ، فأصبح شهيراً كمؤسّس فيما بعد كما أشار إليه الشيخ عبد الأول في كتابه .

سفر بنغال وآسام :

ولما بلغ " كلكتة " قبيل سنة ١٢٥٦هـ تأرّج جوّها بعرف أعماله الصالحة ، وفاحت فيها رائحة الدعوات الذكية ، وأنجب ولداً بها ، ثم سافر من بلد إلى آخر ، داعياً إلى الله بكل إخلاص ، وحماسة ،

---

١ جعفر التها نيسري : سوانح احمد ، ص ١٨٤
وأيضا : غلام رسول مهر : جماعة مجاهدين ، ص ٢٢ ط ، غلام برنتر ، لاهور ، باكستان .

٢ للتفصيل عن الشيخ كرامت علي راجع : الدكتور عبدالوحيد القاسمي : شيخ كرامت علي الجونفوري حيات و خدمات .

(c) www.nidaulhind.com

وعزيمة، يقضي معظم أوقاته في اقتلاع جذور البدعات ، والخرافات ، وجراثيم الرسوم والأباطيل ، وغرس بذرات الإيمان في قلوب الشعب البنغالي ، وإشعال نار الحماسة الدينية ، والإيمان القوي فيهم ، وأقام مدرسة جولية فهي تنتقل حيث هو ينتقل ، وكانت نفقاتها من حسابه الخاص ، وهو يسافر على سفينة ، وهي تجري بهم ، وتسير على بركة الله ، تخترق الماء ، وتجتاز الأودية والصحارى ، من قرية إلى أخرى لأجل الدعوة إلى الله سبحانه ؛ كم نال من حب ورفق وحنان في هذا العمل تجاه محو الأمية وتبليغ رسالة الدين ! واستغرق هذا السفر ثمانية عشر عاماً ، ما شكا غربة ، ولا تألم من الوحدة ، ولم يستحوذ عليه قلق ولا ملال ، هجر الوطن من زمان ، وانقطعت عنه أخباره ، ففكر عن رجوعه ليشاهد الوطن ، وما يجري فيه من أعمال و أشغال ونشاطات ، فوصل الديار عام ١٢٦٨هـ/١٨٥٣م . وعندما وصل خبر قدومه في مدينة جونفور جعل الناس يتوافدون عليه زرافات ووحدانا ، من كل فج عميق ، واستقبلوه بالحفاوة والترحيب ، وهم ينظرون إليه بنظرات الإعجاب ، ويضمرون له ولأهله أصدق آيات المحبة والتقدير ، ألقوا إليه الآذان ومدّوا إليه الأبصار ، وفتحوا له الأفئدة والأذهان ، ففتحت أبواب الدعوة والإصلاح على مصراعيها من جديد وسارت تسير بخطى حثيثة .

تأسيس المدرسة الحنفية :

خلال إقامته هذه ، شعر الشيخ أن جونفور في أشد الاحتياج إلى مدرسة تعتني بالدراسات العليا اعتناءا لا بأس به ، لأن " المدرسة القرآنية " كانت مقصورة على حفظ كتاب الله ، فمنح لهذا العمل الجليل – رئيس من رؤساء جونفور- أرضه ، وهو معروف بـ" الرئيس منشي إمام بخش " ، فأسّس الشيخ عليها مدرسة عربية سنة١٢٧٠هـ الموافق١٨٥٥م وسماها بمدرسة حنفية نسبةً إلى الإمام الهمام أبي حنيفة رحمه الله ، واختار العالم الكبير عبد الحليم الفرنغي محلي لمهمة التدريس ، فذاع صيتها الحسن في الأوساط العلمية ، وأصبحت إدارة كبيرة ، ولاتزال تلك المدرسة تهتمّ بالدراسات العليا حتى الآن .

(للحديث بقية)

(c) www.nidaulhind.com

من أعلام التاريخ الإسلامي في الهند

الداعية الجليل الشيخ كرامت علي الصديقي الجونفوري

(١٨٠٠م- ١٨٧٣م)

(الحلقة الثانية الأخيرة)

بقلم : الأستاذ فخر الدين وحيد *

دوره في ثورة ١٨٥٧م :

وهل ينسى المسترشد مثل الشيخ كرامت علي دروس مرشده السيد أحمد الشهيد رحمه الله في مثل هذه السرعة ؟ كلا ! واظب عليها الشيخ حتى آخر أنفاس الحياة ، وشعر بأن الوقت آن له أن يقوم بعمله ، وكان لجولاته وصولاته صدى واسع النطاق ، وتسير حركته الدعوية في منطقة بنغال(بما فيه بنغله ديش آنذاك) وآسام بسرعة هائلة ، فتغلغل الشوق في أحشائه إلى تحرير الوطن من احتلال الإنجليز الغاشم ، فدعا الجنرال بخت خان – قائداً في جيش الإنكليز- بوساطة مريده القاضي سرفراز علي وحثّه على الثورة ضد الإنكليز . ويجدر بنا أن نذكر ما كتبه انتظام الله الشهابى :

" قد حث المولوي سرفراز علي تلميذ كرامت علي ومحبّه – بخت خان – وكان رئيس المدفعية على الحرب ضد الإنكليز ، والذي قد اشتهر بـ اسم الجنرال بخت خان في تاريخ دهلي " .[1]

فهذا دليل حاسم على أن هتاف الثورة ضد الاستعمار الإنجليزي الذي هزّ كيان البلاد بداية من معسكر "ميرت" تحت قيادة الجنرال بخت خان كان له مساس وتأثير من مهمة القاضي سرفراز علي والشيخ كرامت علي الصديقي ، وعندما هدأت الثورة ، ألقي القبض على القاضي سرفراز علي وحبس بالدوم[2] ورفعت القضية ضد الشيخ كرامت علي الصديقي ، وأخيه رجب علي الصديقي وكانت المحاكمة قيد الانتظار ، فحدثت حادثة أرخت الستار الكثيف على مهماته ضد

---

* أستاذ ضيف في قسم اللغة العربية ، بجامعة خواجه معين الدين الأجميري- لكناؤ- الهند

[1] المفتي انتظام الله الشهابي : ايست انديا كمبني اور باغي علماء ، يعني : (الشركة الهندية الشرقية ، والثائرون من العلماء) ص٤٥ ، (لم يذكر تاريخاً و لا مطبعاً) .

[2] نفس المصدر ونفس الصفحة .

(c) www.nidaulhind.com

الحكومة البريطانية ، وهي على ما يأتي :

" كان للإنكليز مصنع في "كرنجه" الواقعة في شمال جونفور وكذلك مركز البريد ، قد هاجم عليه المسلمون خلال الثورة ففر الشيوخ والولدان والنساء منه حباً لحياتهم . ومن غريب المصادفات أنهم قدموا إلى بيت الشيخ كرامت علي وطلبوا منه الجوار فآواهم لوجه المروءة البشرية . ومن حسن الطالع أنه كانت من بينهم أسرة ضابط إنكليزي كبير[1] ، فلما بلغت ملفات قضية الشيخ كرامت علي عند الحاكم الإنكليزي وعلم أن هاتيك النسوة وجدن أحسن المآب وأجمل الضيافة في بيت الشيخ كرامت علي وحسن ضيافته ممهن ,فأطلق سراحه . هذه هي الواقعة التي غيرت مجرى حياته ، وأصبحت شخصيته تعدّ من بين المسالمين للإنكليز والحكومة البريطانية ، ومنحته الحكومة قطعة أرض في مدينة جونفور بعد الاستيلاء عليها تقديراً لعمله هذا .[2] من أجل ذلك نجد في " موسوعة الإسلام " أن شخصيته كانت مسالمة للإنكليز ، ولكن الحقائق الأساسية ترفضها .

إلى الدعوة الإسلامية وإصلاح المسلمين :

ولعل الشيخ فارق الوطن إثر الثورة فوراً خشية القبض عليه ، قاصداً إلى أرض دعوته ؛ أرض بنغال . ولما يئس من هذا الهدف المنشود اشتغل في أعمال دعوية على طريقة تسير مع الأوضاع المتغيرة ، فركن إلى إصلاح المسلمين وقام بالمناظرة مع عديد من الفرق المسلمة إلى أربع سنوات، ينشر المذهب الحق ويخاطب المعارضين لدعوته وفكره ، بالبراهين الساطعة والدلائل القاطعة تارة ، ويغشاهم بالعطايا والإحسان ، ويوسعهم بالحلم والكرم تارة أخرى ، وطوراً يزيل عنهم الأفكار المفعمة بالأوهام والبدع ، وأخرى كان يهتم بشؤون التعليم لتثقيف أذهانهم ثقافة إسلامية طيبة .

أراد الشيخ أن يوسع عمله الدعوي ، ويجني يانع ثماره في وطنه لآخر مرة ، ولكن ما لبث هذه المرة إلا سنتين ، ازدحمت خلالها أعمال

---

[1] Testimonial ص ،١٣ تحريراً من قاضي جونفور وعلى ص ،١٠ من قلم F. W Legoo.

[2] رواية عن الشيخ صوفي ظفر احمد (من اسرة الشيخ كرامت علي) شفويا .

(c) www.nidaulhind.com

الدعوة والإرشاد ، والإشراف على المدارس ، والحركات الدينية والعلمية ، لكي يبقى أثرها في أجيال متخلفة؛ غادر الشيخ وطنه الحبيب إلى غير عودة سنة ١٢٨٠هـ ، والقوم يكتنفونه عن يمين وشمال فألقى عليهم نظرة أخيرة كلها حب وإعجاب ، اغرورقت عيناه بالدموع ، ولكن أين المفر ؟ والله يريد منه مزيداً من التضحيات في التفاني في سبيله ، والانقطاع إلى الدعوة ، فودّع وطنه بأدعية الأمن والسلام ، وظل يجوب ويتجول في مناطق بنغال (بما فيه بنغله ديش) وآسام ، مستهلاً من السنديب إلى مديرية بعد مديرية ومنطقة تلو مناطق أخرى .

وهذه المناطق لا تزال ناطقةً عن سعيه وجهده في سبيل الدعوة وبلغت هذه القافلة سنة١٢٨٨هـ منطقة "فورنيا" وغرست نواة العلم والهداية في تلك البقعة من الأرض ، وتم هذا السفر في عشر سنوات حتى عام ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م في "رنغفور" واستأثرت به رحمة ربه فجر يوم الجمعة(إنا لله وإنا إليه راجعون) بعد ما انقضى واجبه كأحسن ما ينقضي هذا الواجب ؛[1] قد مكث الشيخ ٥١ حجة يدعو إلى الله بكل صراحة وصرامة ، ويرى في ذلك دواء لكل داء ، يتألّم لحال المسلمين ويعمل لأجلهم ويحترق بروحه القوية الوثّابة في سبيلهم . قد أشعلت دعوته سويداء القلوب وألهبت جذوة الإيمان في آلاف من المسلمين . وإنه دُفن بالقرب من المسجد في حي "منشي فاره" رنغفور .[2]

حياة الشيخ حياة التعليم والتأليف والتبليغ :

أما التدريس فقد حدّد الشيخ من الساعة الثامنة صباحاً إلى العاشرة ، وكان يعلم قراءة القرآن ويمارس تعليمه بعد صلاة المغرب ، وكان من تعلّم القرآن في مدينة جونفور أبرع القراء ، إنه أسس المدرسة القرآنية ثم المدرسة الحنفية وأقام مدرسة تجوالية تعتني بالشؤون التعليمية في رحلاته الدعوية ، وبفضل جهوده المكثفة هبت ريح العلم وقراءة القرآن والإيمان بالله

---

[1] مولانا نورالدين الجونفوري : تجلي نور ، ج١ ، ص ،١٣٦ .
وأيضا : انساءيكلو بيديا آف اسلام ، ج٢ ، ص ،٧٥٢ .

[2] الشيخ عبد الأول الجونفوري : مفيد المفتي ص٤٠، آسي بريس ، لكناؤ ، ١٣٢٦هـ
و أيضا : مولانا عبدالباطن الجونفوري : سيرت كرامت علي ص ،١٤ وأحسن التواريخ للشيخ عبد الاول .

(c) www.nidaulhind.com

خاصة في بنغال وآسام وجونفور وفي بلاد الهند كلها بصفة عامة .

مع أن حياته كانت مزدحمة بالرحلات الدعوية فلم تسنح له فرصة التأليف والكتابة إلا قليلاً ، ولكنه استطاع- بتوفيق الله وعونه وبعلو همته وقوة عزمه- أن يشتغل بالتأليف ويجمع بين الدعوة والكتابة، وما أصعب الجمع بينهما ؟ فأنتج ٤٩ كتاباً (بضعة منها بالعربية) تخص بأربعة موضوعات ، وهي كما يلي :

١- العلوم الإسلامية: ومن أهم كتبه في هذا الميدان " مفتاح الجنة " و "زينة المصلي " و " فضائل الحرمين " . و " مفتاح الجنة " طبعت من هذا الكتاب مئات الآلاف من النسخ ووزعت على الناس .

٢- فن القراءة: ومن أهم كتبه " مخارج الحروف " و" كوكب دري " ولاقت كتبه في فن القراءة القبول الواسع حتى وجدت مكانا خاصا في الكتب الدراسية بمكة المكرمة كما شاهد ابنه الشيخ عبد الأول أثناء سفره إلى مكة .

٣- التصوف : من كتبه " بيعت وتوبه " و " فيض عام " و " زاد التقوى " .

٤- المناظرة والنقاش : ومن أشهر كتبه في هذا المجال " تزكية الفؤاد " و " القول الثابت " و " مرآة الحق " و " براهين قاطعة " و " نسيم الحرمين (العربية) " و " قوة الإيمان " .

أما الحركة الدعوية التي قادها الشيخ كرامت علي الجونفوري في حياته فهي كانت من أكبر الحركات في ديار الهند في عصر الإنكليز ، وكانت هذه الحركة تسير بالسير الحثيث حتى ترى أن ولاية بنغال التي كان يسكن فيها المسلمون في أقلية في عصر الملوك المغول ، أصبح بفضل مساعيه - ولاية أصبح المسلمون فيها أغلبية ، وعلى الرغم من أن كلكته كانت مركزاً لشركة الهند الشرقية الإنكليزية ، راحت مركزاً لحركته الدعوية والإصلاحية ، وبفضل مساعيه الآن نجد " بنغله ديش " بلداً يسكن فيه المسلمون أكثر من سبعين في المأة؛ وكانت هذه الحركة – نظراً إلى نتائجها- من أكبر الحركات الإسلامية عبر العصور ، ولكن وجهها المشرق – مع الأسف – قد تغير لونه إلى حد أن الناس لا يعرفونها ولا يعلمون أهميتها .[1]

---

[1] الدكتور عبدالوحيد القاسمي : شيخ عبدالأول حيات و خدمات ، ص٣٣٣ .

(c) www.nidaulhind.com

وفي البداية كانت هذه الحركة لإعداد الرجال لحركة السيد أحمد الشهيد الانقلابية وهو الذي أمّر الشيخ كرامت علي وأرسله إلى بنغال، فلما وصل الشيخ كرامت علي انضم إلى الجماعة الفرائضية التي كانت على نفس الخطوط ؛ ولذا نرى أن حفيد الشيخ شريعت الله مؤسس الحركة الفرائضية قد دعا الشيخ عبدالأول بن الشيخ كرامت علي إلى بيته وبايعت أمه على يده .[1]

وقد ذكر سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الندوي أن عدد المهتدين إلى الإسلام على يد الشيخ كرامت علي ، يبلغ إلى عشرين مليوناً .[2]

فعصارة الكلام أن الشيخ كرامت علي الصديقي الجونفوري قد لعب دوراً هاماً في عصر يعد من أكثر العصور اضطرابا دينيا وفكريا وسياسيا واجتماعيا في تاريخ الهند ، وقضى حياته كلها يخدم الدين بلسانه وقلمه ويده حتى حظيت حركته الدعوية والإصلاحية بالقبول الواسع واعتنقت مئات آلاف من الناس دين الإسلام ومئات آلاف من المسلمين بدأوا يعيشون عيشة الإسلام ، وهذا من فضل الله . والمصابيح التي أوقدها الشيخ منذ باكورة دعوته لم تنطفئ بعد ولن تنطفئ أبدا . وهي مازالت تنير القلوب وتشعل العاطفة والحماسة الدينية . وبفضل جهوده المشكورة في مجالات العلم والدعوة والإصلاح طار صيت شخصيته على النطاق العالمي حتى أفسح "معلوف يسوعي المسيحي" لشخصيته مكانا مرموقا في قاموسه العربي الشهير "المنجد" بالألفاظ المذكورة أدناه :

"كرامت علي: ولد في جونفور، درس العلوم الإسلامية ،عمل في تطهير الاعتقادات الإسلامية الهندية ، له "ردالبدعة" و"هداية الرافضين" توفي سنة ١٨٧٣م"[3] .

---

[1] مولانا أبوالبشر الجونفوري : سيرت عبدالأول الجونفوري ، ص١٢٢ ، أسرار كريمي بريس ، اله آباد ، ١٣٧٠هـ .

[2] السيد أبوالحسن علي الندوي : كاروان زندكي ،ج٣ ، ص٥٤ .

[3] يسوعي ، معلوف : المنجد ص ٤٣٥ ، ط ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثامنة و العشرون ، ١٩٨٦م .